

## البرق في الشعر والنثر والقرآن (دراسة تحليلية)

أستاذ مشارك - قسم الأدب والنقد والبلاغة  
كلية اللغة العربية - جامعة القرآن الكريم  
والعلوم الإسلامية

د. صديق عبد الرحمن إبراهيم موسى

### المستخلص:

تناول البحث البرق في الشعر والنثر والقرآن. يهدف البحث إلى الوقوف عند استخدام البرق في الأغراض المتعددة التي طرقها الشعراء وقَعَّدها الكتاب والنقاد، وتلك الإستخدامات التي جاءت في القرآن الكريم، ومدى ارتباط تلك الموضوعات بالطبيعة المادية التي وصفها القرآن، وعلاقة تلك الموضوعات بالطبيعة الحسية للبشر. وتأتي أهمية البحث بالنظر لولوع الشعراء والكتاب باستخدام البرق في مظاهر الجمال عند وصفهم لجوانب الحياة، مما يجعل البرق وصفاته المتعددة منبعاً للجمال وراحة للنفس وبعثاً للتأمل في جميل صنع الله، والإتياعظ بأن البرق في بعض أوصافه القرآنية باعثاً لعذاب الله ومظهراً من مظاهر تحدي الكفار. وتكمن مشكلة البحث في الإجابة على: هل كان البرق ملهماً للأدباء والشعراء لتحويل مظاهره وصوره المختلفة إلى لوحات جمالية؟ وكيف كان البرق في بعض أوصافه القرآنية باعثاً لعذاب الله ومظهراً من مظاهر تحدي الكفار؟ وهل التفت الشعراء والكتاب والنقاد إلى إمكانية تحويل البرق إلى نغمة لإظهار مشيئة الله وقدرته؟ انتهج البحث المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي. خرج البحث في خاتمته بعدة نتائج منها: جاء ذكر البرق في القرآن لأغراض التخويف والتحدي والهلاك والرحمة وإظهار قدرة الله وبيان ضعف العباد. للبرق وظائف متعددة وأغراض كثيرة تعاملت معها النفس البشرية سلباً وإيجاباً. جاء ذكر البرق في القرآن لبيان الإعجاز من تلك الظاهرة الكونية وبيان قدرة الله وهيمنه على خلقه. وأوصى البحث بعدد من التوصيات منها: الإتياعظ بالقرآن الكريم والتعامل مع مخلوقات الله بالشكر للمنع. شكر الله على نعمة السحاب والمطر والغيث فهي حاضنة البرق. تشجيع الكتابة في أغراض الشعر المتصلة بالقرآن لبيان رحمة الله وعظمته.

كلمات مفتاحية: البرق، النثر، القرآن الكريم، الكُفار.

## Lightning in poetry, prose, and Holy Quran Analytical Discriptive Study

Dr. Siddeg Abdul Rahman Ibrahim Musa- Co-professor

### Abstract

The research dealt with lightning in poetry, prose and the Qur'an. The research aims to stand at the use of lightning in the various purposes that poets and writers and critics set, and those uses that came in the Holy Qur'an, and the extent to which these topics are related to the material nature described by the Qur'an, and the relationship of these topics to the sensory nature of human beings. The importance of the research comes in view of the poets and writers' fondness for the use of lightning in the manifestations of beauty when describing aspects of life, which makes lightning and its multiple attributes a source of beauty and comfort for the soul and a reason to contemplate the beautiful creation of God, and to learn that lightning in some of its Qur'anic descriptions is a source of God's torment and a manifestation of challenging the infidels. The research problem lies in answering me; Was the lightning inspiring writers and poets to transform its various manifestations and images into aesthetic paintings? And how was lightning in some of its Qur'anic descriptions a source of God's torment and a manifestation of the challenge to the infidels? Did poets, writers and critics turn to the possibility of turning lightning into a tone to show God's will and power? The research adopted the inductive and descriptive analytical method. In its conclusion, the research came out with several results, including: Lightning was mentioned in the Qur'an for the purposes of intimidation, defiance, destruction and mercy, to show God's power and to show the weakness of people. Lightning has multiple functions and many purposes that the human soul has dealt with, both positively and negatively. The mention of lightning in the Qur'an came to explain the miraculousness of that cosmic phenomenon and to show God's power and dominance over His creation. The research recommended a number of recommendations, including: Teaching the Holy Qur'an and dealing with God's creatures with thanks to the Blessed One. Thank God for the blessing of clouds, rain and rain, for it is the incubator of lightning. Encouraging writing in the purposes of poetry related to the Qur'an to show God's mercy and greatness.

**Keywords:** lightning, prose, the Noble Qur'an, infidels.

## المقدمة:

البرق من مظاهر الطبيعة المألوفة وهو من الظواهر الكونية التي خلقها الله منذ أن دُبَّت الحياة على وجه الأرض فكان البرق ولا زال يشكل جانباً من الحضور في أنحاء المعمورة، ولقد غلب عليه مظنة الخير في وظائفه المحتملة، فهو محمول على استصحاب الخير أكثر من احتمال وقوع ما لا يحمد، وكل ما كان من وظائف البرق فهو لا شك أنه جند من جنود الله يسخره جلا وعلا فيما يريد، فتارة يعطي إشارات واضحة وملامح موثوقة بهطول الأمطار وهذا أكثر ما يرجوه العباد، وتارة ينذر بالرواعد الحارقة، وتارة أخرى يذهب بالأبصار، وتارة يخوف الله به من يشاء، ونحن من خلال هذه الدراسة نسلط الضوء على البرق متناولين الأغراض المختلفة في استخدامه لدى الشعراء والأدباء للوقوف على موضوعاته المختلفة، ومما لا شك فيه أن الشعراء تناولوا موضوع البرق يهتمام بالغ واستخدموه بإسهاب في عدد من الموضوعات التي حفلت بها كتب القدماء منذ العصر الجاهلي، وأكثر الموضوعات استخداماً للبرق هو موضوع الجمال الذي اتخذ الشعراء أصلاً للتشبيه بكل ما هو سار وبديع، ولا شك أن مكنن الجمال في الطبيعة الخلابة التي يتولد منها البرق وهي السحب المرسلّة من عند الله بكل ما تحمله من معاني السرور والإعجاب وإنشراح النفس، فللبرق ألوان مختلفة باختلاف الليل والنهار وحجم السحب المنبثق منها، وعادة ما يكون الإبراق مقدمة للمطر ونجد الأدباء من الشعراء والكتاب والنقاد لا يفرقون بين البرق وحاضنته من السحب.

نقف بعد ذلك عند استخدام البرق في القرآن الكريم الذي ذكر الله تعالى فيه البرق في عدة آيات مستصحبين الأغراض والموضوعات من وظائف البرق المتعددة والتي لا شك في أنها من الأعجاز في القرآن العظيم، ولا يخلو الحديث عن البرق من بسط القول عن السحب وأنواعها ومظاهرها، ونجد البرق مكملًا لوظيفة السحاب والرياح، ولذلك يكون التلاقح بين هذه الظواهر الطبيعية البرق والسحاب والرياح والمطر قائماً ومتلازماً على نحو يرسم لوحة تشكيلية واحدة إذا غاب منها جزء أو لون ظل مكانه مفتقراً لأضافات جمالية تحشد له أسباب الروعة على مظهر يعجب النقاد والشعراء والكتاب، لقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ونتائج، ثم زيلته بالمصادر والمراجع، وجاء المبحث الأول بعنوان البرق في الشعر العربي، والمبحث الثاني بعنوان البرق عند الكتاب والنقاد، والمبحث الثالث بعنوان البرق في القرآن الكريم، وكان منهج الدراسة هو الإستقراء والوصف والتحليل.

## البرق عند الشعراء:

لقد أكب الشعراء قديماً وحديثاً على استخدام البرق في جماليات الشعر البيانية والمعنوية، وركنوا إلى ذلك بإعتباره مظهراً من مظاهر الطبيعة ولذلك أكثروا من التشبيهات البيانية في أوصافهم لإظهار صفات الجمال في الكون المنظور مما يبعث الإعجاب في النفوس ويولد الرغبة الملحة في إلحاق ذلك المشهد الحسن بالمحبين، وأول من نقف عنده من الشعراء امرئ القيس الذي وصف الطبيعة، ومنها البرق بقوله:

أَصَاحَ تَرَى بَرْقًا أَرِيكَ وَمِيضَهُ  
كَأَنَّ السَّبَاعَ فِيهِ غَرْقِي عَشِيَّةً  
كَلْمَعِ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مَكْلَلٍ  
بِأَرْجَائِهِ الْقُصُوى أَنَابِيَشُ عُنْصَلٍ  
يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ أَمَالَ السَّلِيْطَ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِ (1)

يقول الشاعر هذا البرق يتلألاً ضوءه فهو يشبه في تحركه لمع اليدين أو مصابيح الرهبان أملت فتائلها بصب الزيت عليها في الإضاءة، يريد أن تحرك البرق يحكي تحرك اليدين وضوءه يحكي ضوء مصباح الراهب إذا أفعم صب الزيت عليه فيضيء، فالشاعر يصف وميض البرق، وسرعة انتشاره، وتفجيره السحب، ثم يصف انهمار السيول، وجرفها الشجر، وذعر الحيوان، ويصف الجبل الذي تكفنه مياه السيل، وازدهار النبات، والسباع الغرقى، لقد كانت الواقعية تامة في تناول الغرض وعرضه، وعمق التجربة الشعرية التي يصورها الشاعر، فجعلها في سرد قصصي يبهر السامع، ويبث حركة الحياة في أوصال النص، فالشاعر يصف الطبيعة ويختار البرق منها لإعجابه بذلك ليثبت واحداً من أهم الأغراض في وصف الطبيعة.

قال طرفة بن العبد:

كَمَا أَحْرَزْتُ أَسْمَاءَ قَلْبٍ مُرْقَشٍ  
وَأُنْكَحَ أَسْمَاءَ الْمُرَادِيَّ، يَبْتَغِي  
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا قَرَارَ يَقْرُهُ  
تَرَحَّلَ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ مُرْقَشٌ عَلَى طَرَبٍ، تَهْوِي سِرَاعاً رَوَاحِلُهُ (2)

أما الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد فإنه يستخدم البرق في تشبيه الحب بلمع البرق أي مر سريعاً كأنه خيال ترائ ثم اختفي ولقد وجد البرق أقرب ما يصور ذلك الموقف، ولا شك أن البرق من مظاهر الطبيعة التي أعجبت الشاعر فعمد إلى استخدامه كواحد من موضوعات وأغراض تلك الصورة المرئية من الكون المنظور.

قال لبيد بن ربيعة العامري:

يَا هَلْ تَرَى الْبَرْقَ بِتُّ أَرْقُبُهُ  
فَهُوَ كَقِدْحِ الْمَنِيحِ أَحْوَدُهُ الْقَا  
قَعْدْتُ وَحْدِي لَهُ؛ وَقَالَ أَبُو  
كَأَنَّ فِيهِ لَمَّا ارْتَفَقْتُ لَهُ  
يُزْجِي حَبِيّاً إِذَا حَبَا تَقَبَا  
نِصٌّ يَنْفِي عَنْ مَتْنِهِ الْعَقَبَا  
لَيْلَى مَتَى يَغْتَمِنُ فَقَدْ دَابَا؟  
رَيْطاً وَمِرْبَاعَ غَانِمٍ لَجِبَا (3)

الشاعر المخضرم لبيد بن ربيعة العامري استخدم هذا الشعر في الجاهلية لأنه بعد إسلامه لم يقل شعراً، ونجده هنا يصف البرق وسرعة تحركه، في معرض حديثه رحلة الأحباب، ومناظر بقر الوحش والحرر والسيول.

قال الأخطل:

كَأَنَّهُ، إِذَا أَضَاءَ الْبَرْقُ بَهْجَتَهُ،  
مَّا السَّرَاةَ، فَمَنْ دِيَابَجَةٍ لَهَقَ،  
حَتَّى إِذَا غَابَ عَنْهُ اللَّيْلُ وَانْكَشَفَتْ  
فِي أَصْبَهَانِيَّةٍ أَوْ مُصْطَلِي نَارٍ  
وَفِي الْقَوَائِمِ مِثْلُ الْوَشْمِ بِالْقَارِ  
سَمَاؤُهُ عَنْ أَدِيمٍ مُضْحِرٍ عَارٍ (4)

الأخطل من الشعراء الذين عاشوا في صدر الإسلام فهو هنا يستعمل البرق في المدح وهذا من أكثر الموضوعات التي استهوت الشعراء لتشبيه الممدوح بكثرة العطاء ونفع الآخرين. قال الأعشى:

|                                  |                                       |
|----------------------------------|---------------------------------------|
| بل هل ترى عارضا قد بت أرمقه      | كأنما البرق في حافاته شعل             |
| له ردأف، وجوزُ مفأم عمل          | منطق بسجال الماء متصل                 |
| لم يلهني اللهو عنه حين أرقبه ولا | اللذاذة من كأس ولا شغل <sup>(5)</sup> |

يقول الشاعر إنه بات ليلته ينظر إلى السحاب معترضا ناحية السماء مترادفا عظيما متسعا دائم البرق، مهطال كثير التسكاب، فالشاعر يخلق بنظره حول الطبيعة فيرى البرق منبثقا من السحاب الممطر فيحول ذلك المشهد المادي الممطر إلى إنشاء أدبي مقررؤ يحمل معاني البرق ومتعلقاته من الإقصاد والإشتعال.

قال الشاعر

|                              |                                                 |
|------------------------------|-------------------------------------------------|
| فذاك الذي لا يخلف البرق ودقه | ويصبح بسّاما وإن كان مدنفًا                     |
| عطوف على بذل اللهى وهو واجد  | وإن كان مختلا أبا وتكلفًا                       |
| تفرّع من طودي غنيّ بن يعصر   | بواذخ صدّاف عن الضيم أشرفًا                     |
| لهاميم صلح في قديم أرومة     | وحادث مجد كان بالأمس مطرفًا                     |
| سواء عليه حين يجتاب وحده     | طخا الليل أو ضوءا من الصبح أسدفا <sup>(6)</sup> |

نجد الشاعر في هذه الأبيات يستعمل البرق فب المدح لإظهار مكانة الممدوح قال الشاعر:

|                               |                                          |
|-------------------------------|------------------------------------------|
| بدا البرق من نحو الحجاز فشا   | وكّل حجازي له البرق شائق                 |
| سرى مثل نبض العرق والليل دونه | وأعلام أبلى كلها والأسالق <sup>(7)</sup> |

البرق عند الشاعر في البيتين جاء رمزا للذكريات لدى أهل الحجاز فكلما رأوا البرق شاقهم ذلك إلى ديارهم وخاصة في جنح الليالي التي يسري فيها البرق ويتراءى للناظرين عن بعد. وقال آخر:

|                               |                                           |
|-------------------------------|-------------------------------------------|
| أرقت لبرق آخر الليل يلمع      | سرى دائبًا حينًا يهبّ ويهجع               |
| سرى كاحتساء الطير والليل ضارب | بأرواقه والصبح قد كاد يسطع <sup>(8)</sup> |

وهذا الشاعر يذكر البرق في آخر الليل يسري بضوءه ثم يسكن ويتكرر هذا المشهد في الأفاق ويبدو للناظرين في شدة الظلام ويستمر في الوميض واللمعان حتى قبيل الفجر، فالبرق مستخدم هنا لراحة النفس وسرور العين.



قال الشاعر في المدح:

|                                         |                            |
|-----------------------------------------|----------------------------|
| كأنه البرق إذا البرق خطف                | يشبهه الرعد إذا الرعد رجف  |
| تحمله إلى الوغى الخيل القطف             | كأنه الموت إذا الموت أظف   |
| وقف انظر بعينيك إلى أسنى الشرف          | إن سار سار المجد أو حل وقف |
| خلق من الناس سوى أبي دلف <sup>(9)</sup> | هل ناله بقدرة أو بكلف      |

جاء البرق مستخدماً لغرض المدح لأن الشاعر شبه كلام الممدوح وصوته بالرعد إذا هو تكلم أو خطب أو أمر، وشبهه بالبرق الخاطف إذا هو أراد أن يقوم بعمل ضد أعدائه أو صال صولة حق، فالمدح واحد من أغراض استخدامات البرق.

قال الشاعر

|                        |                                        |
|------------------------|----------------------------------------|
| شمس بدت لك من مغاربها  | يفترّ مبسمها عن البرق                  |
| ما كنت أحسب قبل رؤيتها | للشمس مطلعاً سوى الشرق                 |
| يا فتنة بعثت على الخل  | ما بينها والموت من فرق <sup>(10)</sup> |

استعمل الشاعر البرق في تشبيه ثغر المحبوبة بضوء البرق عند تبسمها، ويقول شمس بدت من المغرب وهو قطعاً لا يعني الشمس المألوفة ولكن استخدم الإستعارة عندما أختار للمحبوبة الشمس فهي التي تساويها في نظره ولكنه جاء بقرينة خروج الشمس من المغرب وهذا لا يمكن في حق الشمس الحقيقية، وهو في الواقع يقصد خروج المحبوبة التي هي كالشمس في جمالها عندما تبدو قادمة من جهة الغرب، فلقد ذكر المشبه به (الشمس) وحذف المشبه (المحبوبة) ورمز لها بلازمة من لوازمها وهي خروجها من جهة الغرب كغيرها من الناس في تحركهم وتنقلهم، وهذا على سبيل الإستعارة التصريحية، ولقد ذكر الشاعر مصدرين للضوء وهما الشمس والبرق وهذا مما يجعل البرق واستعمالاته إمتداداً لإكتمال الصورة الجمالية في البيت.

قال وهب الهمداني:

|                              |                                              |
|------------------------------|----------------------------------------------|
| سحاب حكى القرطاس لون صبره    | وعاد به جو العواصف أكلفا                     |
| إذا كتبت فيه يد البرق أسطراً | يلبس وجه الأرض بالثلج كرسفاً <sup>(11)</sup> |

جاء تشبيه البرق بإنسان له يد تكتب وذكر المشبه وهو البرق وحذف المشبه به وهو الإنسان ورمز له بلازمة من لوازمه وهي اليد، وذلك على سبيل الإستعارة المكنية، وقد شبه عبد الله بن أيوب بن محمد التيمي وميض البرق بخفة يد الحاسب فقال:

|                        |                                      |
|------------------------|--------------------------------------|
| أعني على بـ _____ ناظر | خفي كوحيك _____ بالحاجب              |
| كأن تألقه في السما     | دا كاتلب أو يدا حاسب <sup>(12)</sup> |

التشبيه واضح في البيتين في قوله (كوحيك) بالحاجب أي إشارتك بحاجب العين وهي تشبه حركة البرق، ثم يقول كأن تألقه في السما كتألق يد الكاتب أو الحاسب وهو يعني لمعان البرق في عرض السماء والبرق ولمعانه استعمل في التشبيه ليعطي المعنى بعداً ووضوحاً، ومن أحسن ما قيل في تشبيه يد الحاسب بوميض البرق بعد قول التيمي قول عنتره من أبيات:

وإذا خططت فأنت غيث معشب  
وإذا نهضت فأنت نجم ثاقب  
وإذا جلست فأنت ليث رابض  
وإليك يرجع حين يشكل غامض  
وفرضت للناس الكتابة فاحتذوا  
فيها مثالك والعلوم فرائض<sup>(13)</sup>

التشبيه واضح في البيت الأول ويأتي التشبيه ليزيد المعنى إيضاحاً ولكن تكتمل الصورة عندما يدخل البرق في جملة الأغراض الأخرى للمحسوسات الكونية المستخدمة في أبيات الشعر مجتمعة، فنجد عنتره بن شداد لم يكتف بإستخدام البرق وحده ولكن حشد ماديّات أخرى مشاهدة ومعلومة، مثل قوله: أنت غيث معشب، ونجم ثاقب، وليث رابض، ثم يقول بك التمثيل أي أنت المثل عندما ينعت الفضلاء فهم يقاسون إليك لأنك الأصل الذي يأخذ منه الجميع، ونجد البرق قد أخذ موقعه من إيضاح المعنى عندما شكل لوحة وصفية واحدة مع بقية الصور المشاهدة.

قال عبد الله بن المعتز:

وَكَأَنَّ الْبَرْقَ مُصْحَفُ قَارِي  
فِي رُكَّامٍ صَاقٍ بِالْمَاءِ دَرْعاً  
لَمْ يَزَلْ يَلْمَعُ بِاللَّيْلِ حَتَّى  
وَكَأَنَّ الرُّعْدَ فَحْلٌ لِقَاحِ  
فَانْطَبَاقاً مَرَّةً وَانْفِتَاحاً  
حَيْثُمَا مَالَتْ بِهِ الرِّيحُ سَاحاً  
خَلَّتْهُ نَبَّةٌ فِيهِ صَبَاحاً  
كُلَّمَا يُعْجِبُهُ الْبَرْقُ صَاحاً<sup>(14)</sup>

نظر الشاعر إلى وصف البرق ومعانيه في الهيئة التي تجدها العين من انبساطٍ يعقبه انقباضٌ، وانتشارٌ يتلوّه انضمامٌ، فأصاب ذلك فيما يفعله القارئ من الحركة الخاصّة في المصحف، إذا جعل يفتحه مرةً ويطبّقه أخرى، هذه اللوحة الوصفية ناطقة بصورتها الجمالية فالشاعر يشبه البرق بالمصحف الذي يتعهده الناس بالتلاوة فهو في تصفح مستمر بين يدي القراء فنجدهم ينتقلون من صفحة إلى أخرى فيفتحون هذه ويطبّقون هذه، فهذه صورة البرق في تردده وتحركه ولمعانه من بين جموع السحب السائحة التي لا يفارقها البرق فهو مقيم بين طياتها يتابع اللمعان وكأنه ضوء النهار وقد أيقظه ضوء البريق المتصل، والرعد يهدر فوق السحاب وكأنه معجب بذلك الضوء، كإعجاب الفحل الملاقح المظهر للصياح وهو في طور من أجمل أيام حياته الفطرية، ويأتي تشبيه الشاعر للرعد بالفحل الذي يعشق البرق ليردد الإعجاب بالصياح في صورة متلازمة بين الرعد والبرق يجسدها الواقع كحقيقة مادية لا ينكرها أحد، ممل يؤكد تلازم البرق والرعد لإكمال الصورة المعنوية، جاء في كتاب الحيوان للجاحظ:

ومتى رأيت البرق سمعت الرعد بعد، والرعد يكون في الأصل قبله، ولكن الصّوت لا يصل إليك في سرعة البرق؛ لأنّ البارق والبصر أشدّ تقارباً من الصّوت والسّمع، وقد ترى الإنسان، وبينك وبينه رحله فيضرب بعصا إمّا حجراً، وإمّا دابّة، وإمّا ثوباً، فترى الضّرب، ثمّ تمكث وقتاً إلى أن يأتيك الصّوت.<sup>(15)</sup>

ويؤيد هذا قول الشاعر كُثَيِّر:

تسمع الرعد في المخيلة منها  
وترى البرق عارضاً مستطيراً  
أو مصابيح راهبٍ في يفاعٍ  
قال أشجع السلمي:

أرى بارقاً نحو الحجاز تطلعا  
أما وأحيا أنفسا بوميضه  
فكان كلمع البرق أومض ضوؤه  
ولم أر مثلينا غداة فراقنا  
وما زالت الأيام تدخل بيننا  
وتجذ حبل الوصل حتى تقطعا<sup>(16)</sup>

استخدم الشاعر البرق المتطلع من الحجاز في الإحياء والإماتة ولا يعني بالبرق في هذا البيت إلا المحبوبة التي أفنت بعض الناس بجمالها وأحيت آخرين وهذه صورة يرددها الشعراء كثيراً، ولقد دعا الشاعر لذلك البرق بالخير لأن الحب الذي في قلبه تجاه ذلك البرق يملئ عليه ذلك الوفاء والدعاء من خالص القلب، ثم يأتي الشاعر بصورة التشبيه واضحة عندما يقول (فكان كلمع البرق)، ويأتي استخدام البرق لتذكر المحبوبة والتغزل بها، ومن ذلك قول علي بن يحيى المنجم:

بأي والله من طـرقا  
زارني طيف الحبيب فما  
قال ابن زيدون:

ا ساري البرق غادِ القصر فاسق به  
ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا  
يا روضة طاماً أجت لواحظنا  
ويا حياةً تمليّنا بزهرتها  
من كان صرف الهوى والود يسقينا  
من لو على البعد حياً كان يحيينا  
ورداً جلاه الصبا غضاً ونسرينا  
منى ضرباً ولذات أفانينا<sup>(17)</sup>

هذا شاعر الأندلس أحمد بن زيدون يناجي البرق الذي يجوب الأفق بضوءه ووميضه ويشركه في شكواه ويثته تباريح الهوى إلى محبوبته التي ابتعد عنها قهراً وهي في قصرها فهي بنت الخليفة المستكفي بالله، ويضيف الشاعر إلى البرق معاني أخرى لتزداد الصورة وضوحاً وجمالاً، فنجده يستخدم ما يروغ له من كلمات الهوى والحب والوله مثل قوله: الود يسقينا، نسيم الصبا، روضة، لواحظنا، وردا، الصبا، غضا ونسرينا، لذات أفانينا، فكم كان الشاعر منسجماً مع المشاعر المرهفة تجاه الأميرة ولادة بنت المستكفي فجاء شعره عقدا متناسقا مع ألفاظه ومعانيها فزادها البرق ألقا فجاء استخدامه لغرض تسلية النفس والترويح عنها فتعلق بالبرق وبثه أحزانه ولوازعها لعله يجد الشفاء.



وقال أبو الفرج البغواء قصيدة مدح فيها سيف الدولة:

سقت العهد خليل ذاك المعهد      رِيًّا وحيًّا البرق برقة ثهمد  
في جحفل كالسيل أو كالليل أو      كالقطر صافح موج بحر مزبد  
فكأثما نقشت حوافر خيله      للناظرين أهلة في الجلمد  
وكأن طرف الشمس مطروف وقد      جعل الغبار له مكان الأثمد<sup>(20)</sup>

في هذه القصيدة استخدم فيها الشاعر البرق لغرض التحية من على البعد، ويدخل إستعمال البرق في إثبات سمو مكانة الممدوح فهو عال علو البرق وكل من رآه يرجو خيره كما يأمل الناس في الغيث بعد ظهور البرق، ولذلك جاء الشاعر بكلمات أخرى جعلها في بيت واحد في قوله في جحفل كالسيل أو كالليل أو كالقطر صافح موج بحر مزبد، وهذه تشبيهات تزيد المعنى جلاء ووضوحاً وإمّا صلحت لزيادة المعنى لوجود البرق أمامها متقدماً جحفل الجيش وهنا ينتقل البرق إلى معنى آخر من معانيه وهو النار وهذا معني يتناسب مع القيمة المعنوية للجيش، وكانت العرب تسمى البرق ناراً، قال الشاعر:

نار يعود بها للعود جدته      والنار تفلح عيدانا فتحترق  
ونار البراعة طار صغير، اذا طار بالليل حسبته شهاباً، والطرب من الفراش اذا طار بالليل حسبته شرارة، وتقول العرب: أكذب من تلمع، وهو حجر يلمع من بعيد واذا دنوت منه لم تر شيئاً.<sup>(21)</sup> وَقَالَ بعضُ الْحُكَمَاءِ: النَّيْرَانُ أَرْبَعَةٌ: نَارٌ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ، وَهِيَ نَارُ الْمَعْدَةِ، وَنَارٌ لَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ وَهِيَ نَارُ الْحَجَرِ، وَنَارٌ تَشْرَبُ وَلَا تَأْكُلُ وَهِيَ نَارُ الْبَرْقِ، وَنَارٌ تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ وَهِيَ نَارُ الْحَطَبِ. وَيُقَالُ أَيْضاً: النَّيْرَانُ أَرْبَعَةٌ: فَتَّارٌ تَشْرَبُ وَلَا تَأْكُلُ، وَنَارٌ تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ، وَنَارٌ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ، وَنَارٌ لَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ؛ فَأَمَّا النَّارُ الَّتِي تَشْرَبُ وَلَا تَأْكُلُ فَهِيَ النَّارُ الَّتِي هِيَ مِنَ الشَّجَرِ، وَالنَّارُ الَّتِي تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ فَتَّارُكُمْ هَذِهِ، وَالنَّارُ الَّتِي لَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ فَالنَّارُ الَّتِي فِي الْحَجَرِ، وَالنَّارُ الَّتِي تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ فَتَّارُ جَهَنَّمَ.<sup>(22)</sup> ولقد ربط البعض البرق بإتلاف بعض الأشياء وهذا غرض آخر على غير المؤلف، ففي كتاب الأزمنة والأمكنة ذكر بعضهم البرق فقال: يلتمع الأبصار، ويهلك الغض من الثمار، ويكنع بعاصم البقل، وقيل: لا يكون برق لا رعد معه إلا أن يكون رزلاً يعنق السحاب أو يكون خفوا لا يشنق، ووصف بعضهم الرعد فقال: يرج الأرض، ويحرق الطير، ويمرق بيضها، ويصم السمع، ويسقط الأحبال، ويصدع القلوب<sup>(23)</sup>. فهذه صور أخرى متعددة لها أغراضها الخاصة، ونختم الحديث عن البرق في الشعر بهذه اللوحة الناطقة والتي لا تحتاج إلى شرح يقول الشاعر:

ترددَ فيها البرقُ حتى حسبته      يشير إلى نجم الرُّبَى بالأناملِ  
ربِّي نسجت أيدي الغمام للبسها      غلائلَ صُفْراً فوق بيضِ غلائلِ  
سهرتُ بها أرعى النجوم وأنجماً      طوالع للراعين، غير أوافلِ  
وقد فغرتُ فامها بها كل زهرة      إلى كل ضَرَعٍ للغمامة حافلِ  
ومرتْ جيوشُ المُرْنِ رهواً، كأنها      عساكر زَنْجٍ مذهبَاتُ المناصلِ<sup>(24)</sup>

هكذا تراوح استخدام البرق في أغراض مختلفة شملت المدح وتذكر المحبوبة والديار والتحية وبت الشكوى، والتشبيهات والإستعارات الممكنة منها والتصريحة، بغرض تقريب المعنى وإبراز الجمال ورفيع المكانة، وهناك أغراض أخرى توجد في مظانها.

### البرق في النثر:

لقد دارت استخدامات البرق لدى الكتاب والنقاد وجاءت الكتب مثقلة بذلك ولا يمكن الوقوف على كل ما جاء في النثر لكثرة ولكن نقف على بعض النماذج المثبتة للغرض ومؤيدة للموضوع، وأول ما نقف عنده من استعمالات البرق وإغراضه ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي كتاب الأزمنة والأمكنة: حكى أحمد بن يحيى قال: أخبرني ابن الأعرابي، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس مع أصحابه إذ نشأت سحابة فقبل: يا رسول الله هذه سحابة فقال عليه السلام: كيف ترون قواعدها قالوا: ما أحسنها وأشد تمكّنها، قال: وكيف ترون رحاها؟ قالوا: ما أحسنها وأشد استدارتها. قال: فكيف ترون بواسقها؟ قالوا: ما أحسنها وأشد استقامتها، قال: فكيف ترون برقها أوميضاً أم خفياً أم يشق شقاً؟! فقال عليه السلام: الحياء الحياء، قال: فقالوا: يا رسول الله ما رأينا أفصح منك، فقال: وما يمنعني وإني أنزل القرآن بلسان عربي مبين، و قواعدها: أسافلها، ورحاها: وسطها ومعظمها، وبواسقها: أعاليها، وإذا استدار فيها البرق من طرفها إلى طرفها فهي أعاليها وهو الذي لا يشك في مطره وجوده، وإذا كان البرق في أسافلها لم يكذب يصدق.<sup>(25)</sup>

السحابة هي حاضنة البرق ولا يمكن للبرق أن ينبثق بلا سحب فهو يتولد منه ولذا يكون البرق جزء من الوصف عند التحدث عن السحاب، ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم البرق عندما قدم وصفا للسحاب، (فكيف ترون برقها أوميضاً أم خفياً أم يشق شقاً) فالوميض والشق كلها داخلية في أغراض البرق وأستعمالاته، وكذلك البرق المستدير بأطراف السحاب من أعاليه فإن مطره متوقع الهطول، وإذا كان في الأسافل فهو غير صادق، ومن هنا يدخل معنا غرضان آخران وهما برق الأعالي وبرق الأسافل، فالأول صادق والثاني كاذب، فانظر إلى بلاغة رسول الله وخبرته بالسحب ونقده لها. وهنالك صور كثيرة لمظاهر السحب والرياح والبرق، أورد منها صاحب سحر البلاغة ما يلي: لبست السماء جلبابها، سحب السحاب أذياله، احتجبت الشمس في سرادق الغيم، ولبس الجو مطرفه الأدكن، باحت الرياح بأسرار الندي، ضربت خيمة الغمام، وقام خطيب الرعد، ونبض عرق البرق، سحابة رعدا يصم الأذن، وبرقها يخطف العين، سحابة ارتجزت رواعدها، وأذهبت بروقها مطاردها، نطق لسان الرعد، وخفق قلب البرق، الرعد ذو صخب، والبرق ذو لهب، ابتسم البرق عن قهقهة الرعد، زارت أسد الرعد، ولمعت سيوف البرق، رعدت الغمام وبرقت، وانحلت عزالي السماء فطبقت، سحابة هدرت رواعدها، وقربت أباعدها، وصدقت مواعدها، كأن البرق قلب مشوق، بين التهاب وخفوق، انحل عقد السماء، وهي عقد الأنواء، انحل سلك القطر، عن در البحر، أرخت السماء عزاليها، وأغرقت الأرض وسحت نواحيها، هطلت بمثل أفواه القرب، انتشرت كانتشار العقود، استعار السحاب جفون العشاق، وأكف الأجواد، انحل خيط السماء، انقطع

شريان الغمام، سحابة تنخل علينا ماء البحر، وتفض لنا عقود الدر، سحب حكى المحب في انسكاب دموعه. (26)

هذه المعاني الوفيرة تشكل أغراضاً متعددة للبرق وأحواله فهو داخل في جميع هذه الأوصاف باعتباره أحد متعلقاتها إما ابتداءً أو انتهاءً، فقد كان النثر ثرياً بأوصافه للبرق ومتعلقاته الوصفية.

جاء في كتاب المطر والسحاب: خرج معقر بن حمار البارقي ذات يوم، وقد كف بصره، وابنته تقوده، فسمع رعداً فقال لابنته: ما ترين؟ قالت: أراها حماء عقاقه كأنها حواء ناقة لها سيروان، وصدر دان، فقال: مري لا بأس عليك! ثم سمع رعداً آخر فقال: ما ترين؟ قالت: أراها كأنها لحم ثنت منه مسيك ومنه منهرت، فقال: وائلي بي إلى قفلة، فإنها لا تنبت إلا بمنجاة من السيل؛ قال أبو بكر: الحماء: السوداء تضرب إلى الحمرة، العقاقه تنعق بالبرق، يريد أن البرق ينشق عقائق الواحدة عقيقة، والحواء جلدة رقيقة تقع مع سليل الناقة كأنها مرآة، فشبه السحاب في كثرة مائه بالحواء، قولها لحم ثنت تريد مسترخياً قد أنتن: بعضه متماسك وبعضه متساقط، وهو المنهرت، والقفلة ضرب من الشجر. (27)

هذا الأعمى عاش في الجاهلية فهو لا يرى البرق ولكنه سمع صوت الرعد الذي هو قرين البرق، فقال لابنته ما ترين أرادها أن تستخدم بصرها لترى البرق وتصف له الموقف، فوصفت البرق بقولها: عقاقه تنعق بالبرق، يريد أن البرق ينشق عقائق الواحدة عقيقة، فكان البرق واحد من الأدلة على هطول المطر، وهذا الكلام صادر من شاعر وناقد كبير من أدباء الجاهلية، فعرفوا للبرق أغراضه وموضوعاته ودلالاته مع الظواهر الأخرى كالرعد، وتقول العرب وإذا كان البرق ذا رعدٍ فقلما يخلف، ومثل هذا في كلام العرب، مما ينوب فيه الشيء عن الشيء، إذا كان متصلاً به، أو سبباً من أسبابه، أو مجاوراً له، فمن ذلك قولهم للمطر سماء، ومنه قولهم ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، قال الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قومٍ رعيناه وإن كانوا غضاباً (28)

قال الأصمعي: سئل أعرابي عن مطر فقال: إستقل سد مع انتشار الطفل فشما واخزأل، ثم اكفهرت أرجاؤه، واحمومت أرجاؤه، وابدعرت فوارقه، وتضاحكت بوارقه، واستطار وادقه، وارتتقت جوبه، وارثعن هيدبه، وحشكت أخلافه، واستقلت أردافه، وانتشرت أكنافه، فالرعد مرتجس، والبرق مختلس، والماء منبجس فأترع الغدر، وأنبت الوجر، وخلط الأوعال بالآجال، وقرن الصيران بالرائل، فللأودية هدير، وللشراج خرير، وللتلاع زفير، وحط النبع والعتم من القلل الشم إلى القيعان الصحم، فلم يبق في القلل إلا معصم مجرثم، أو داحض مجرجم، وذلك من قضاء رب العالمين على عباده المذنبين. (29)

هذا وصف الأدباء ولا تكاد تنفك جميع هذه الأوصاف عن مؤدي واحد وهو عملية الإمطار من أولها إلى آخرها، جاء في كتاب سرور النفس: أن البرق والرعد واحد، وهو احتقان أبخرة نارية لطيفة في بخار كثيف رطب مجتمع متراكم، يحتقن ثم ينفلق بقوة، كما تنفلق البيضة

المشواة في النار إذا احتقن بخارها دفعة واحدة، فتظهر الأجزاء النارية عند انشقاقه، فظهورهما إلى الوجود هو في وقت واحد، وإنما يُرى البرق من قبل أن يُسمع الرعد، لأن البصر يدرك مبصراته في غير زمان، والسمع لا يدرك مسموعاته إلا في زمان، فلأجل ذلك يُرى البرق قبل أن يُسمع الرعد، ولا يكون الرعد إلا من احتقان البخار بل ربما كان بسبب فساد من السحب المدافعة بعضها بعض بالرياح الشديدة.<sup>(30)</sup>

في المقابل نجد حاضنة الرعد والبرق واحدة مع تفاوت زمن الظهور الحسي، قال الثعالبي في سر الأدب، أول ما ينشأ من السحاب هو النشأ، فإذا انسحب في الهواء فهو السحاب، فإذا تغيرت له السماء فهو الغمام، فإذا أظلم فهو العارض، فإذا كان ذا رعد وبرق فهو العارض، فإذا كانت السحابة قطعاً صغاراً متدانياً بعضها من بعض فهي النمرة، فإذا كانت متفرقة فهي القزح.<sup>(31)</sup> ومن جهة أخرى نجد أوصاف البرق في ألفاظ مترادفة لها وظائفها المختلفة، فيقال في البرق: يشرى، ويومض، ويعن، ويعترض، ويوبض، ويستطير، ويستطيل، ويلمع، ويتبوج، ويخطف، ويخفو، ويبرق، ويتألق، ويتلألأ، ويستشري، وينيض، ويخرق، ويسلسل، ويشتن، ويتسم، ويضحك، ويبعق، وينشق، ويرتعص، ويقري، ويهص، ويثقب، ويلوح، ويتهلل، ويتكلل.<sup>(32)</sup>

أما اختلاف ألوان البرق فعلى قدر السحاب الذي يتصدع، فإن البرق أيضاً يختلف اللون، فرمما كان إلى السواد ما هو، ورمما كان إلى الصفرة ما هو، وإلى الشقرة، وذلك كله على قدر كيفية السحاب، فهذا ما في الرعد والبرق والسحاب.<sup>(33)</sup> ولذلك يجدر بنا الوقوف عند أنواع السحاب، والغيم يكون في قليل السحاب وكثيره، والغمام واحدها غمامة، وهي الغراء البيضاء من السحاب البيض، والمزن من السحاب واحدها مزنة، ومنه الحماء وهي السحابة السوداء، والركام الكثير الذي قد تراكم بعضه على بعض، والرباب السحابة الرقيقة السوداء تكون دون الغيم في المطر، ولا يقال لها ربابة إلا في المطر؛ والمكفهر من السحاب الضخام البيض، والجهام: السحاب الذي يراق ماؤه، والمكفهر من السحاب: الضخام المتراكب.<sup>(34)</sup>

### البرق في القرآن الكريم:

إن البرق واحد من آيات الله تعالى التي خصها بالذكر في القرآن العظيم كغيرها من الآيات المعجزات، والله يخلق ويعطي من كل شيء موزون، فإذا زاد فيه الله أو نقص فإنه يتحول إلى أمر غير مألوف أراد الله بعباده، ومع كثرة تغني العرب بالبرق واستعماله في جماليات المعاني في حياتهم نجده قد ورد في القرآن العظيم في خمس آيات، ولذلك نتناول هذه المعاني من التفسير المختلفة للنظر في مدي التفاوت في الأغراض التي جاءت في استعمال البرق كأحد الموضوعات الأدبية في القرآن ولا شك أن الأدب في القرآن هو من صميم الأدب الإسلامي، قال الله تعالى (أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ



مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (\*) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (\*).

إِنَّ الْمَعْلُومَ مِنْ خَالِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيُبْصِرُونَ أَمْتَنَعَ حَمْلَ ذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا تَشْبِيهِ خَالِهِمْ لَشِدَّةِ تَمَسُّكِهِمْ بِالْعِنَادِ وَإِعْرَاضِهِمْ عَمَّا يَطْرُقُ سَمْعَهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَمَا يُظْهِرُهُ الرَّسُولُ مِنَ الْأَدَلَّةِ وَالْآيَاتِ بِمَنْ هُوَ أَصَمُّ فِي الْحَقِيقَةِ فَلَا يَسْمَعُ، وَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الْجَوَابِ، فَلِذَلِكَ جَعَلَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَنْبَكَمِ، وَإِذَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْأَدَلَّةِ وَلَمْ يُبْصِرْ طَرِيقَ الرُّشْدِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَعْمَى، أَمَّا قَوْلُهُ: فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ فِيهِ وَجُوهٌ: أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ عَمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَهُوَ التَّمَسُّكُ بِالتَّفَاقِ الَّذِي لِأَجْلِ تَمَسُّكِهِمْ بِهِ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا الصِّفَاتِ فَصَارَ ذَلِكَ دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُمْ يَسْتَمِرُّونَ عَلَى نِفَاقِهِمْ أَبَدًا. وَثَانِيهَا: أَنَّهُمْ لَا يَعُودُونَ إِلَى الْهُدَى بَعْدَ أَنْ بَاعَوْهُ، وَعَنِ الضَّلَالَةِ بَعْدَ أَنْ اشْتَرَوْهَا. وَثَالِثُهَا: أَرَادَ أَنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمُتَحَرِّينَ الَّذِينَ بَقُوا خَامِدِينَ فِي مَكَانِهِمْ لَا يَبْرَحُونَ، وَلَا يَذَرُونَ أَيْتَقَدُّمُونَ أَمْ يَتَأَخَّرُونَ وَكَيْفَ يَرْجِعُونَ إِلَى حَيْثُ ابْتَدَءُوا مِنْهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ \* يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (35).

إِذَا حَصَلَ السَّحَابُ الَّذِي فِيهِ الظُّلُمَاتُ وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ وَاجْتَمَعَ مَعَ ظُلْمَةِ السَّحَابِ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ وَظُلْمَةُ الْمَطَرِ عِنْدَ وُجُودِ الصَّوَاعِقِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَأَنَّ الْبَرْقَ يَكَادُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ، فَإِذَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ، وَإِذَا ذَهَبَ بَقُوا فِي ظُلْمَةِ عَظِيمَةٍ فَوَقَفُوا مُتَحَرِّينَ لِأَنَّ مَنْ أَصَابَهُ الْبَرْقُ فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثِ ثُمَّ ذَهَبَ عَنْهُ تَشْتَدُّ حَرَّتُهُ. وَتَعْظُمُ الظُّلْمَةُ فِي عَيْنِهِ، وَتَكُونُ لَهُ مَرِيَّةٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي الظُّلْمَةِ، فَشَبَّهَ الْمُتَنَافِقِينَ فِي حَيْرَتِهِمْ وَجَهْلِهِمْ بِالَّذِينَ يَهْوُلَاءُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ، إِذْ كَانُوا لَا يَرَوْنَ طَرِيقًا وَلَا يَهْتَدُونَ. (36)

الله جل وعلا استعمل البرق هنا لتخويف الكافرين لأنه كان شديدا ويكاد يذهب بأبصارهم في لحظة يخطفها خطفا، وجاء ضوء البرق شديدا بأمر الله زائدا عن المألوف وهنا تحول إلى نعمة على المنافقين، وهذا واحد من الأغراض التي جاءت في القرآن للتخويف. وجاء في كتاب الأزمنة والأمكنة: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَبَّهَ أَعْمَالَ الْمُنَافِقِينَ وَاعْتَرَاهُمْ بِمَا اعْتَقَدُوهُ مِنْ مَخَادَعَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِظْهَارِ مَوَافَقَتِهِمْ وَإِبْطَانِ مَخَالَفَتِهِمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَقْضِي لَهُمْ بِالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ فَقَالَ: مَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَدْفَعُ السُّوءَ عَنْهُمْ، بَلْ يَرْجِعُ بِالْوَبَالِ عَلَيْهِمْ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا وَهُوَ يَظُنُّ اسْتِبَانَةَ الطَّرِيقِ بِهَا، فَجَاءَتْ ضَعِيفَةٌ فِي إِنْارَتِهَا، وَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا وَقَدَّرَ بِقَاها عَلَى مَا بِهَا، خَمَدَتْ فَعَادَ وَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا وَأَشَدَّ عَمَى لِأَنَّ النَّازِرَ فِي ظِلْمَةٍ بَعْدَ ضِيَاءٍ أَوْعَفَ تَبَيَّنَا أَوْ مَثَلُ قَوْمٍ أَصَابَهُمْ صَيْبٌ اسْتَصْحَبَ رَعْدًا وَبَرْقًا وَنَكْدًا وَخَوْفًا فَخَشُوا رَهْبَةً مِنْ صَاعِقَةٍ تَحْرِقُهُمْ، وَتَنْزِلُ الْبَلَاءَ بِهِمْ. (37)



قال صاحب الأزمئة في آخر شرحه رعدا وبرقا ونكدا وخوفا فخشو صاعقة تحرقهم وتنزل بهم البلاء، انظر إلى هذه الأغراض المتعددة أكثر من ستة أغراض، كلها في آن واحد ومن بينها البرق، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الرعد أو البرق قال (اللهم لا تقتلنا غضبا ولا تقتلنا بغتة وعافنا قبل ذلك)، وعن عائشة رضى الله عنها (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع الرعد والصواعق قال: (اللهم لا تهلكننا بغضبك ولا تقتلنا بعذابك وعافنا قبل ذلك)<sup>(38)</sup>. هذا رسول الله إذا سمع الرعد أو رأى البرق يدعو الله ويقول اللهم لا تقتلنا مما يبين أن البرق يأتي بالعذاب كواحد من موضوعاته.

قال الله تعالى: (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال) قوله عز وجل: (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً)<sup>(39)</sup>، فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: خوفاً للمسافر من أديته، وطمعاً للمقيم في بركته، قاله قتادة الثاني: خوفاً من صواعق البرق، وطمعاً في غيثه المزيل للحر، قاله الحسن، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع صوت الرعد قال: (اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكننا بعذابك وعافنا قبل ذلك) الثالث: خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه<sup>(40)</sup>.

هكذا الرعد والبرق يسبقه يسيران متلازمان وكان الرسول صلى الله عليه وسلم، خوفاً من عذاب الله وطمعاً في ثوابه وهذان موضوعان للبرق. وسئل ابن عباس عن البرق، فقال: مخاريق الملائكة. وأصل المخراق خشبة في رأسها سنان عريض تحته عذبة، وكان القوم إذا انصرفوا من حرب ظافرين قدّموا بشيرا معه مخراق، ليعلم الحال به وكان يوفي على نشز بقرب منهم، ويلّوح بالمخراق، فيجتمع ولدان الحي فرحين ويقولون: مخرق المخراق في رأس البيض، فالجيش لا شك كما بدا رجوع، فلا يزالون كذلك حتّى تطلع عناق الخيل، فيستقبلونها مصفّقين، وإذا انصرف الخيل مغلوبين، أو طلبوا مدداً بعثوا رجلاً وأعطوه سيفاً فأوفى على النّشز وألّاح بالسيف وصوّت، ليعلم الحيّ بالحال فاجتمع الصّبيان باكين ويقولون: رأى حتفاً وألّاح سيفاً<sup>(41)</sup>. عبد الله بن عباس يعبر عن البرق وصفته بأنه مخاريق يأتي في المقدمة ملوحاً بالخير، قال صاحب الظلال: (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ) والبرق والرعد والسحاب مشاهد معروفة، وكذلك الصواعق التي تصاحبها في بعض الأحيان. وهي بذاتها مشاهد ذات أثر في النفس، سواء عند الذين يعرفون الكثير عن طبيعتها والذين لا يعرفون عن الله شيئاً والسياق يحشدها هنا ويضيف إليها الملائكة والظلال والتسبيح والسجود والخوف والطمع، والدعاء الحق والدعاء الذي لا يستجاب، ويضم إليها هيئة أخرى: هيئة ملهوف يتطلب الماء، باسطاً كفيه ليلبغه، فاتحاً فاه يتلقف منه قطرة، هذه كلها لا تجمع في النص اتفاقاً أو جزافاً، إنما تجمع لتلقي كلها ظلالها على المشهد، وتلفه في جو من الرهبة

والترقب، والخوف والطمع، والضراعة والارتجاف، في سياق تصوير سلطان الله المتفرد بالقهر والنفع والضر، نفيًا للشركاء المدعاة، وإرهاباً من عقبي الشرك بالله<sup>(42)</sup>. هذه أغراض متعددة ناطقة عن نفسها، هو الله الذي يريكم هذه الظاهرة الكونية، فهي ناشئة من طبيعة الكون التي خلقها الله على هذا النحو الخاص، وجعل لها خصائصها وظواهرها، ومنها البرق الذي يريكم إياه وفق ناموسه، فتخافونه لأنه بذاته يهز الأعصاب، ولأنه قد يتحول إلى صاعقة، ولأنه قد يكون نذيراً بسبيل مدمر كما علمتكم تجاربكم. وتطمعون في الخير من ورائه، فقد يعقبه المطر المردار المحيي للموات، المجري للأنهار.

وفي روح البيان، (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ) (43)، أي تحير واضطرب وجال فزعا من أهوال يوم القيامة من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش ثم استعمل في كل حيرة وإن لم يكن هناك نظر إلى البرق وهو واحد بروق السحاب ولمعانه وَخَسَفَ الْقَمَرُ أي ذهب ضوءه فان خسف يستعمل لازماً ومتعدياً يقال خسف القمر وخسفه الله أو ذهب نفسه من خسف المكان أي ذهب تحير ودهش شاخصاً من فزع الموت وخسف قمر القلب لذهاب نور العقل عنه وجمع شمس الروح وقمر القلب بأن جعل شيئاً واحداً طالعا من مغرب البدن لا يعبر لهما رتبتان كما كان حال الحياة بل اتحداً روحاً واحداً انتهى يَقُولُ الْإِنْسَانُ المنكر للقيامة وهو عمل في إِذَا يَوْمَئِذٍ أي يوم إذ تقع هذه الأمور قول الآيس من حيث أنه لا يرى شيئاً من علامات ممكنة للفرار<sup>(44)</sup>. وروى طائوس في خبر يرفعه: لا تَسْبُوا الرِّيحَ ولا المطر ولا الرِّعْدَ ولا البرق، بعثن رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين. وفي حديث آخر: لا تَسْبُوا الرِّيحَ فإنها من نفس الرحمن. وفي آخر: ما هلك قوم ولا عاش آخرون إلا بهبوب الرياح ودرور السحاب (45). في الحديث السابق بيان واضح بأن البرق جند من جند الله تعالى ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم لا تسبوه.

فهذه هي معاني البرق وأغراضه في القرآن الكريم لا تحتل التغيير فهي كما جاءت بمعانيها وموضوعاتها فلا يستقيم للبرق معنى فبي الحياة الأدبية إلا بمراعاتها.

### الخاتمة:

إن البرق من الظواهر الكونية من خلق الله في الطبيعة المألوفة، وله وظائف متعددة وأغراض كثيرة تتعامل معها النفس البشرية سلماً وإيجاباً، فهو مظنة الخير في وظائفه المحتملة، ومكمن الشك في وقوع ما لا يحمد، فهو جند من جنود الله يسخره فيما يريد، فتارة يعطي إشارات واضحة وملامح موثوقة بهطول الأمطار وتارة ينذر بالرواعد الحارقة، إن الشعراء تناولوا البرق باهتمام كبير واستخدموه في أغراض حفلت بها كتب القدماء منذ العصر الجاهلي، وخاصة الجمال الذي اتخذ الشعراء أصلاً للتشبيه بكل ما هو سار وبديع، ولما كان السحاب حاضنة للبرق أعجب به الشعراء والكتاب والنقاد، فجعلوه مسرحاً لفنون البلاغة من معاني البيان، فكثرت

التشبيهات والإستعارات التصريحية منها والمكنية، وللبرق ألوان مختلفة باختلاف الليل والنهار وحجم السحب، والأدباء لا يفرقون بين البرق وحاضنته من السحب، فلا ترتسم اللوحة الجمالية كاملة إلا إذا تضافرت فيها معاني الإمطار والإرعاد والإبراق، وكان لكثرة المتراذفات من معاني السحب والبرق والمطر أثر بالغ في تعدد صور المعاني وكثرة الأغراض، والبرق في القرآن ذكره الله في عدة آيات بأغراض ومواضيع ووظائف متعددة، وجميعها إعجاز مبين، فكان البرق مكملًا لوظيفة السحاب والرياح، ونجد التلاقح بين هذه الظواهر الطبيعية من السحاب والمطر والبرق والرعد والرياح، نجده متلازمًا على نحو يشكل لوحة فنية واحدة إذا غاب منها مظهر ظلت مفتقرة للجمال وأسبابه التي تحشد له الروعة على شكل يعجب النقاد والشعراء والكتاب، والله يخلق ويعطي من كل شيء موزون، فإذا زاد أو نقص فإنه يتحول إلى أمر غير مألوف أراد الله بعباده، ولقد جاءت الأحاديث عن رسول الله ماثبة أن البرق من أسباب العذاب، وقد استخدم الأدباء من الشعراء في الجاهلية البرق لأسباب النقد، وكذلك جاء هذا الغرض مثبتًا لرسول الله وهو بهذا من النقاد النافذين في هذا الجانب كما أثبتت الدراسة، وقد غلب على الشعراء استخدام البرق قي أسباب الرفاهية لأظهار المودة والحب والسرور، ورفع شأن الممدوح، بينكما النقاد والكتاب استعملوه لغرض بيان الحقائق المتعلقة بالبرق فجاء إستخدامهم مقترنا بمتعلقات البرق من السحب والمطر والرياح والرعد، بينما جاء استخدام البرق وحواضنه في القرآن لأسباب التخويف والتحدي والهلاك والرحمة وإظهار قدرة الله وبيان ضعف العباد والخلق

### النتائج:

جاء ذكر البرق في القرآن لأغراض التخويف والتحدي والهلاك والرحمة وإظهار قدرة الله وبيان ضعف العباد.

للبرق وظائف متعددة وأغراض كثيرة تعاملت معها النفس البشرية سلبًا وإيجابًا.

استخدم الشعراء البرق في معاني الجمال وأدخلوه في التشبيهات والإستعارات.

استخدم الأدباء من الشعراء البرق لأغراض النقد.

كان رسول الله من النقاد النافذين لنقده البرق وحاضنته من السحاب، ونهى عن سبه وسأل الله خيره.

البرق مكمل لوظيفة السحاب والرياح والرعد والأمطار والتلازم بين هذه الظواهر يشكل لوحة فنية واحدة.

إن متراذفات البرق والسحاب ومعانيها أعطتها أبعادًا لتعدد الأغراض والموضوعات.

جاء ذكر البرق في القرآن لبيان الإعجاز من تلك الظاهرة الكونية وبيان قدرة الله وهيمنه على خلقه.

## التوصيات:

الإيتاظ بالقرآن الكريم والتعامل مع مخلوقات الله بالشكر للمنعم.  
شكر الله على نعمة السحاب والمطر والغيث فهي حاضنة البرق.  
الوقوف على أشعار العرب للتعرف على سعة اللغة العربية وثراءها بالبيان.  
تشجيع الكتابة في أغراض الشعر المتصلة بالقرآن لبيان رحمة الله وعظمته.

## الهوامش:

- (1) امرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، الديوان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الثانية، 1425 هـ، 2004م، ص 16
- (2) طرفة بن العبد البكري، الديوان، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة، 1423هـ، 2002م، ص 64.
- (3) ليلى بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، الديوان، دار المعرفة، الطبعة: الأولى، 1425هـ، 2004م، ص 16.
- (4) أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 722.
- (5) أبو عمرو الشيباني، شرح المعلقات التسع، تحقيق وشرح: عبد المجيد، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422 هـ، 2001م، ص 29.
- (6) عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحوالان، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ، ص 509.
- (7) عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ، ج 2 ص 223.
- (8) المرجع السابق.
- (9) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، الغقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ، ج 1 ص 259.
- (10) المرجع السابق، (6/ 364)
- (11) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، أدل الكاتب، المطبعة السلفية، مصر، المكتبة العربية، ببغداد، 1341هـ، ص 100.
- (12) المرجع السابق، ص 240.
- (13) المرجع السابق، ص 240.
- (14) أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم مطبعة الصاوي، 1355هـ، 1936م، ص 123.
- (15) عمرو بن بحر بن محبوب بالجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424هـ، ص 460.
- (16) أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي، دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، 1344 هـ، 1926م، ج 1 ص 178.
- (17) أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، الأوراق قسم أخبار الشعراء، شركة أمل، القاهرة، 1425هـ، ج 1 ص 104.
- (18) أمالي القالي، مرجع سابق، ج 1 ص 229



- (19) عماد الدين الأصبهاني، محمد بن نفيس الدين، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، الدار التونسية للنشر، 1971م، ج2، ص67.
- (20) المحسن بن علي بن محمد التنوخي البصري، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، 1391هـ، ج1 ص279.
- (21) أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الأوائل، دار البشير، طنطا، الطبعة: الأولى، 1408هـ، ص40.
- (22) منصور بن الحسين الرازي، نثر الدر في المحاضرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424هـ، 2004م، ج6 ص245.
- (23) أبو علي أحمد بن محمد الأصفهاني، الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لطبعة: الأولى، 1417هـ، ص337.
- (24) أبو عامر أحمد بن عبد الملك الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، 1416هـ، 1996م، ص108.
- (25) الأزمنة والأمكنة، مرجع سابق، ص333.
- (26) عبد الملك بن محمد الثعالبي، سحر البلاغة وسر البراعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص16.
- (27) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرواد من البقاع، ص1.
- (28) أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحري، دار المعارف، الطبعة الرابعة، ص35.
- (29) المطر والسحاب، مرجع سابق.
- (30) أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1980م، ص258.
- (31) عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي، سر الأدب.
- (32) الأزمنة والأمكنة، مرجع سابق، ص446.
- (33) المرجع السابق ص340.
- (34) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، مرجع سابق.
- (35) سورة البقرة، الآية 19-20
- (36) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1420هـ، ج2 ص315.
- (37) الأزمنة والأمكنة، مرجع سابق، ص336.
- (38) أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري، هاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ، ج5 ص322.

- (39) سورة الرعد، الآية 12
- (40) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تفسير الماوردي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3 ص100.
- (41) الأزمنة والأمكنة، مرجع سابق، ص 336.
- (42) سيد قطب إبراهيم حسين الشاري، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، الطبعة السابعة عشر، 1412هـ، ج4 ص336.
- (43) سورة القيامة، الآية 7
- (44) إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، روح البيان، دار الفكر، بيروت، ج10 ص246.
- (45) الأزمنة والأمكنة، مرجع سابق، ص526.